سبيله من بصواحتى ياتى الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين فنبه سبحانه
على ان خوف المضره من منابذه الظالمين فى النفس او المال ومفارقه الاحباب
ليس بحجه مخصصا فى ترك جهادهم حيث وجب واذا لم يكن كذلك لم يكن رجا نفعهم
وخوف مضرتهم سببا لرخصه فى جواز تعظيمهم سيما وقد ورد من التصريح بذم من
فعل ذلك حيث قال ان الذين توفاهم الملايكه ظالمى انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا
مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعه فتهاجروا فيها وكفا
بظاهر قوله صلعم القوا الفساق بوجوه مكفهره وقوله من مشا الى ظالم وهو يعلم انه
ظالم فقد برى من الاسلام ولا يخرج من هذا العموم الا ما خصته دلاله واضحه شرعيه
ولم تخصص هذا الوجه بالجواز دلاله ولا يمكن قياس المصلحه الخاصه على المصلحه العامه
من ان الايات التى قدمنا فى حكم المصرحه بالفرق بين المصلحتين والخبر الذي رواه في
الشمس فى ذم العلما المواصلين للامرا حيث قال فاصبتم من دنياهم واعمرتموهم
فى دينكم مصرح بتحريم ذلك بلا شك فاما ما اشتهر من مواصله الحسن عليه السلام لمعاويه وزين
العابدين لعبد الملك فمن بحث السير والاثار علم يقينا انهم لم يصلوا اليهم وصول
معظم فى مجرد قصد زياره او تهنيه او وداع او وجه يعظمون به مدارا لهم بوجه
تعظيم وانما وصلوا فى الزيارات المذكوره اما مطلوبين الى حضرتهم او لطلب حاجه
مهمه واذا عرض خطاب او قتال ظهر منهم الاستخفاف الكلى بهم بالقول والفعل
ومنه القصه المشهوره للحسن عليه السلام مع معويه واخيه عتبه وعمرو بن العاص وما
تحمل به عليهم فى ذلك المجلس كل واحد على انفراده وحده ومنه ما روى انه دخل على
معويه فى بعض الحوائج فانقطع معويه فى مشوره بعض اصحابه فى جانب المجلس ساعة
فكتب الحسن عليه السلام فى دواه معويه هذين البيتين لنا الفضل يا هذا عليك بذلنا الذي
وجوهك لم تنشنها المطالب ۞ وان الذي نعطيك من خراج جدنا لا تصلح ما انت تعطي
دواهب ۞ وكفا ما حكاه ابن عبد ربه فى عقده او المسعودى فى مروجه ان معويه
بعد عقد الصلح قال للحسن عليه السلام قم فاعلم الناس انك قد سلمت لى هذا الامر فقام عليه السلام
وخطب وتكلم اهل العراق وكان مما قال انما الخليفه من عمل بكتاب الله تعالى
وسنه نبيه صلعم واما صاحبكم فانما هو رجل ملك ملكا يتمتع فيه قليلا ويعذب
بسببه طويلا وان ادرى لعله فتنه لكم ومتاع الى حين او كما قال وكذلك كل نقل
من مواصله العلما الراشدين للظلمه فانما كان لمجرد حاجه او اجابه طالب لا لمجرد
تعظيم بسلام او تهنيه او وداع نعم ربما انفل عن من مال قلبه الى الدنيا واتبع هواه

من العلما موجها اصلابهم تعظيما فقال عنه زين العابدين عليه السلام اكل من حلواهم فمال
فى هواهم فلا يحتج بهم فعل مثلهم الا ضال عن الطريق فرع فاما اتيانهم لمجرد وعظ
او تذكير او امر بمعروف فلا اشكال فى جوازه كما اتى النبي صلعم ابا جهل الى بيته ليامره
بالطاعه ونحوه وذلك مشروط بان يعلم مقصوده ويخلا سوهم فيه قصد تعظيم بذلك لانه
حينئذ يكون مصلحه يعارضها مفسده مساويه او راجحه فرع فاما الوافد الظالم
هو الذى وصل الى الفاضل تعظيما له فلا باس بالقيام فى وجهه والقايه مكافاه
له على احسانه وهو فى تلك الحال ليس يعظم على حد تعظيم الفضلا بل هو المعظم لهم
بوصوله وان فيه مصلحه دينيه لا يعارضها مفسده راجحه او مساويه وتلك المصلحه
هى استدعاوه بذلك الى تعظيم الفضلا وليس له مكافاه بان يصل الى منزله تعظيما
لا لحاجه سوى التعظيم لانه يكون فى تلك الحاله هو المعظم بالوصول اليه حال الصلا وقد
نهينا عن تعظيمهم الا لمصلحه عامه كما قدمنا وقد ذكره المويد بالله اكل طعامهم
وقبول عطاياهم لما يورث من محبتهم ووجه تحريمه قلت فان احسنوا الى المومن
لم يجب عليه من شكرهم اكثر من الاعتراف بانهم انعموا والبشر من التعظيم الذي
لا يظهر به اجلالهم كالقيام فى وجه من وصل بنفسه معظما لاهل الفضل
فهذا القيام لا انزله فى حسب وصوله بنفسه الى الفاضل بخلاف وصول الفاضل
الى منازلهم لقصد وجه تعظيم من يقصده او غيرها فجلالتهم فى ذلك ظاهر اذ لو جوزنا
ذلك لم يعرف الحال بينهم وبين ايمه الهدى فيما يستحقون من التعظيم فاما اطعامهم
وانزالهم فليس بتعظيم بل تفضل واحسان كالاحسان الى الذميين والى الزوجه
والخادم الفاسقين فرع فمن لم يمكنه القيام فى حضرتهم الا بتعظيمهم ومواصلتهم
لزمته الهجره اذ من لم يمكنه الاقامه فى جهه الا بفعل قبيح لزمته الهجره بالاجماع كما مر
ولقيل ان الذين توفاهم الملايكه ظالمى انفسهم الايه فرع ومن بدع المداهنه عندى
التعبد لغير الله تعالى فى المجاوره والمكاتبه وما قد اطبق عليه اكثر الناس من
المكاتبه بامثال العبيد واصغر المماليك على صياغه المعروفه فانه حادث مبدع
ابدعه من خالط من المسلمين الى بلاد العجم وراى ما يعاملون به ملوكهم من ذلك وهو
نصه من عبادهم اياهم وكان حدوث اوله فى الدوله الامويه وقت الوليد الخليع فانه
نهى ان يخاطب او يكاتب بمثل ما يخاطب به الناس وضرب رجلا بسبب ذلك
حتى مات ولم يكن منه فى عهد صلعم ولا عهد الخلفا الراشدين بعده بل كان

Copyright © King Saud University